المجلد: 16 العدد: 3 الجزء: 2 في (2024 /7/1) Lark Journal
وقائع المؤتمر العلمي الثامن لكلية الاداب – جامعة واسط، بالتعاون مع مجلة لارك تحت شعار (المسارات المعرفية للعلوم الانسانية والاجتماعية الواقع وآفاق الريادة، المنعقد بتاريخ (2024/4/23)

ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Prof.Dr.Fadel Jaber Dahi
University: Wasit University
CollegeCollege of Education for Humanities Sciences University\ Wasit University

Fawzi Khairy Kazem Imam Al-Kadhim College of Islamic

Keywords:
historical criticism, Ibn Hajar, news of immersion, historical events, biographies.

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 9 May 2024
Accepted 13 Jun 2024
Available online 1 Jul 2024

Historical criticism in the book Anbaa Al-Ghamr by Ibn Hajar

A B S T R A C T

The research talks about the critical approach of the Egyptian historian Ibn Hajar Al-Asqalani (d. 852 AH), in his book (Anbaa Al-Ghamr fi Anbaa Al-Omar), which is considered one of the important historical biographies of men of the eighth and mid-ninth centuries AH, in addition to the great importance that the historian Ibn Hajar represents in that he He is considered one of the great historians in the Egyptian and Levantine history school in the ninth century AH, and because the subject of historical criticism of the historical novel is considered an important approach in modern studies of the curriculum in general and historical curricula in particular, we have taken it to be the title of this research of ours, which we called (Historical Criticism in the Book of News of Immersion in News of Life)) to shed light on Ibn Hajar's critical approach in his book for the purpose of identifying the contributions of this great historian in the field of historical criticism.

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss16.3631

النقد التاريخي في كتاب انباء الغمر لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)

أ.د. فاضل جابر ضاحي/جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية
د. فوزي خيري كاظم / كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية / أقسام واسط

الخلاصة:

يتحدث البحث عن المنهج النقدي عند المؤرخ المصري ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، في كتابه (أنباء الغمر في أنباء العمر) الذي يعدّ من كتب التراجم التاريخية المهمة لرجال القرنين الثامن ومنتصف التاسع الهجري، فضلًا عما يمثله المؤرخ ابن حجر من أهمية كبيرة كونه يعدُّ من المؤرخين الكبار في مدرسة التاريخ المصرية والشامية في القرن التاسع الهجري، ولكون موضوع النقد التاريخي للرواية التاريخية يعدُّ منهجًا مهمًّا في الدراسات الحديثة للمناهج عمومًا والتاريخية خصوصًا، فقد اتخذناه ليكون عنوانًا لبحثنا هذا الذي وسمناه بـ(النقد التاريخي في كتاب أنباء الغمر في أنباء العمر) لتسليط الضوء على منهج ابن حجر النقدي في كتابه هذا لغرض التعرف على إسهامات هذا المؤرخ الكبير في مجال النقد التاريخي.

الكلمات المفتاحية: النقد التاريخي، ابن حجر، أنباء الغمر، الحوادث التاريخية، التراجم .

المقدمة

تعدُّ الدراسات في المنهج النقدي عند المؤرخين من أهم الدراسات في مجال دراسة التاريخ ورواياته، لما يحمله من أهمية خاصة لاسيما وأن الدراسات النقدية لم تلقَ اهتمامًا كبيرًا في كتابات المؤرخين المسلمين، لكون أغلب المؤرخين الذين دوّنوا التاريخ اتبعوا منهجًا خاصًّا في تدوين الحوادث التاريخية ، وهذا ظل هو المسيطر طوال القرون الأولى من التدوين، وهو منهج نقل الروايات التاريخية على وفق منهج أهل الحديث، ولكن هذا لم يمنع من أن يقوم بعض المؤرخين المسلمين بمحاولة تهذيب بعض الروايات وإخضاعها لمنهج النقد، ومحاولة تنقيتها من بعض ما لحق بها من الدس أو المبالغة أو حتى الكذب لخدمة أغراض معينة، وهذه الروايات وجدت طريقها في المؤلفات التاريخية التي بين أيدينا في الوقت الحاضر.

ومن بين المؤرخين الذين حاولوا التصدي لنقد الروايات التاريخية يبرز اسم المؤرخ المصري الكبير (ابن حجر العسقلاني) المتوفى سنة 852هـ، الذي كانت محاولاته واضحة في اتخاذ ذلك المنهج النقدي لبعض الروايات التي دوّنها في مؤلفاته التاريخية، ولعل أبرز هذه المؤلفات كتاب (إنباء الغمر بأنباء العمر) الذي كان للمنهج النقدي فيه أثر واضح في غالب رواياته التي نقلها فيه.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

لذا جاءت محاولتنا هذه في تسليط الضوء على هذا المنهج النقدي عند المؤرخ ابن حجر لاسيما في هذا الكتاب، الذي يعدُّ من أواخر ما ألّفه في حياته . فضلًا عن وضوح المنهج النقدي فيه وضوحًا كبيرًا، نستشفُّ ذلك من عدد الروايات التي وجّه إليها النقد، وحاول تقديمه بصورة أكثر قبولًا.

وقد استعرضنا في هذا البحث نبذة عن السيرة الشخصية والعلمية للمؤرخ ابن حجر العسقلاني، ثم قراءة في منهج وموارد كتاب (إنباء الغمر بأبناء العمر)، بعد ذلك استعرضنا أبرز ملامح المنهج النقدي عند المؤرخ مقسمًا بحسب طبقات الأعيان.

المؤرخ ابن حجر العسقلاني ودراسة في سيرته الشخصية والعلمية

وُلد المؤرخ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، في الثالث عشر من شعبان من سنة 773هـ في مصر (ابن فهد، 1998، ص211)، وقد كانت نشأته وترعره في القاهرة، مات والده وتركه صغيرًا، لم يبلغ الرابعة من عمره (السخاوي، 1999، ج1، ص108)، وبعد أن أتمَّ الخامسة بدأ بالتحصيل العلمي، وقد امتاز بذاكرة وقوة حفظ ، شهِد له بها معلموه وأقرانه، فساعدته على التقدم في طلب العلم والتحصيل، وكان اهتمامه في بداية تحصيله العلمي ينصبُّ على الشعر والأدب، ثم تحوَّل اهتمامه إلى الحديث الشريف، فنهل منه

منهلًا كبيرًا، ولم يكتفِ بما أخذه عن علماء مصر، وإنما ارتحل في سبيله إلى الشام والحجاز واليمن ليسمع من شيوخها هناك (الزركلي، 1980، ج1، ص178).

وبرع في الحديث حتى أطبقت شهرته الآفاق، فقصده طلبة العلم، من كل مكان لينهلوا منه، ويسمعوا ما عنده (السيوطي، 1067، ج1، ص363).

ولم تقف براعته على علم الحديث فقط، بل اشتهر بعلوم أخرى وبرع فيها براعته في الحديث، فقد صنّف ابن حجر في التاريخ، وعلوم القرآن، والتفسير، والفقه، وغيرها من العلوم، حتى بلغت مؤلفاته أكثر من مائتي مؤلف (كحالة، د.ت، ج2، ص20). ومن أبرز تلك المؤلفات: (تقريب التهذيب)، و(فتح الباري في شرح صحيح البخاري)، و(الإصابة في تمييز الصحابة)، و(الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، وغيرها الكثير (السخاوي، 1999، ج2، ص37).

أهم المناصب التي عمل فيها

بالنظر لاشتهاره بالعلم كان لابد وأن تكون له مساهمة في إدارة الدولة المملوكية بتقلده بعض المناصب التي تتطلب من متوليها أن يكون عالمًا، ومن أبرز تلك المناصب منصب القضاء، فقد تقلد ابن حجر – على الرغم من ممانعته لتقلده – القضاء في مدن عدّة، منها توليه منصب قاضي الشافعية في مصر سنة 827ه (ابن تغري بردي، د.ت، ج2، ص20)، وقد تولاه أكثر من مرة، فقد كان يُعفى، ثم يُعاد بين مدةٍ وأخرى (الشيخ، 1992، ص279). كما تولى منصب دار الافتاء المصرية منذ سنة 811هـ، وظلّ فيه حتى وفاته (ابن تغري بردي، د.ت، ج2، ص20).

وتولى نظر المدرسة البيبرسية ومشيختها وذلك في سنة 813هـ، فضلًا عن الإشراف على المدرسة المحمودية وخزانة كتبها (الشيخ، 1992، ص244). وكذلك عُيّن خطيبًا في جامع الأزهر في سنة 819هـ، ثم خطيبًا في جامع عمرو بن العاص، وغيرها من الجوامع (السخاوي، 1999، ج2، ص38).

أما في مجال التدريس، فقد أولاه عناية أكبر، وكرّس له غالب جهده، حتى عندما كان يعمل في منصب القضاء، ولم يكن يدرس علمًا محددًا، وإنما كان يُدرّس علومًا عدة (الشيخ، 1992، ص254).

وفاته

اتفق المؤرخون على أن وفاته كانت سنة 852هـ، لكنهم اختلفوا في تحديد يوم الوفاة، فقد ذهب ابن فهد المكي إلى أنها كانت يوم 28 من شهر ذي الحجة (ابن فهد، 1998، ص237)، فيما قال السخاوي إنها كانت يوم 17 منه (السخاوي، د.ت، ج3، ص1187)، أما ابن أياس فقد جعلها يوم 18 من نفس الشهر (ابن أياس، د.ت، ج2، ص268).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ونظرًا لمكانته العلمية الكبيرة، ولمكانه بين العلماء الكبار آنذاك، فقد خرج السلطان المملوكي جقمق (842-857هـ)، والخليفة المستكفي كذلك، وجمع كبير من الناس، ذكر السخاوي أنه بلغ أكثر من 50 ألفًا (السخاوي، د.ت، ج3، ص1187). وقد صلّى عليه الشيخ البلقيني وهو أحد تلاميذه، وتم دفنه بالقرافة (ابن أياس، د.ت، ج2، ص268).

قراءة في منهج وموارد كتاب (أنباء الغمر في أبناء العمر)

يُعدُّ كتاب (أنباء الغمر في أخبار العمر) من المصادر المهمة في التراجم، لما حواه من تراجم لشخصيات مهمة، فضلًا عن السرد التاريخي للأحداث التي اتبعها المؤرخ ابن حجر العسقلاني في الكتاب بناء على البنية المنهجية التاريخية التي سار عليها المؤرخون السابقون قبله، وهي سرد الأحداث التاريخية المهمة – بحسب وجهة نظره – التي تستحق أن تذكر حسب السنوات مبتدئا من سنة 773هـ، إلى سنة 850هـ، فضلًا عن ذكر وفيات الأعلام والشخصيات الهامة في نهاية كل سنة. (ضاحي، كاظم، 2023، ص48).

ولعل أبرز ما يلاحظ على الكتاب أنه ابتدأ من سنة 773هـ، وهي سنة ولادة المؤلف ابن حجر. ويبدو أنه قد تعمّد أن يجعل كتابه هذا يبتدئ من هذا السنة لسببين، أولهما: أنه أراد أن يكون ابتداؤه من تاريخ مولده كنوع من التفرد والتميز. وثانيهما: أنه أراده أن يكون ذيلًا على تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) الذي انتهى فيه بذات السنة، كما صرّح بذلك (ابن حجر، 1998، ج1، ص4).

أما بالنسبة لمنهجه النقدي، فقد اتبع ابن حجر منهجًا نقديًّا جمع فيه بين منهجي علماء الحديث منهج النقد التاريخي، فهو حين يمر بالأحداث التاريخية نراه ينتقد بعض الروايات التي يراها بحاجة إلى النقد بذكره لرأيه في بعض الأحداث التي ذكرها. ولو أن عدد الروايات التي ينتقدها قليل نسبيًّا، لكننا نرى أنه يُكثر من اتباع المنهج النقدي حين يترجم للأعلام والمشاهير، فنراه هنا يذكر كل ما يتعلق بهم، وما عُرف عنهم من حُسن السيرة أو سوئها، وما انطوت عليه شخصية كل منهما، فضلًا عن علميته وشهرته بين أقرانه، فضلًا عن وظائفه الإدارية أو القضائية أو غير ذلك من الوظائف التي أوكل بها من قبل السلطة المملوكية.

وتزداد أهمية المنهج النقدي عند ابن حجر حين نلاحظ أنه كان شاهد عيان على كثير من الأحداث التي ذكرها في كتابه هذا. فالبداية التي جعلها لكتابه (773هـ) هي سنة ولادته، وإذا استثنينا السنوات الأولى بعد هذا التاريخ سيكون لدينا شاهد عيان على معظم الأحداث التاريخية التي سردها، فضلًا عن ذلك كان ابن حجر يستخدم أسلوب جمع الأخبار عن بعض الحوادث، أو ما يخص بعض تراجم الأعلام، وهذا واضح باستعمال قول (أخبرني ...)، و(سألت ...)، وغير ذلك من الكلمات الدالة على انتقائه المادة المكتوبة عن حدثٍ ما أو شخصيةٍ معينة، أراد منها التثبت منها وتوخي الدقة فيما ينقل.

أما أبرز المصادر التي أخذ منها ابن حجر مادته التاريخية، فهي فضلًا عن مشاهداته بنفسه، فقد صرّح بأنه أخذ من عدة مؤرخين إلا أنه لا يُصرّح بأسماء مؤلفاتهم، وممن أخذ عنهم المؤرخ ناصر الدين بن الفرات (ت 807هـ)، وصلاح الدين خليل بن محمد بن محمد الأقفهسي (ت 808هـ) وصارم الدين بن دقماق (ت 809هـ)، وشهاب الدين أحمد بن علاء الدين بن حجي الدمشقي (ت 816هـ)، وتقى الدين أحمد بن علي المقريزي (ت 845هـ)، وتقي الدين محمد ابن أحمد بن علي الفاسي (ت 832هـ)، وبدر الدين محمد العيني (ت 855هـ)، وغيرهم (ابن حجر، 1998، ج1، ص4).

النقد التاريخي في كتاب انباء الغمر لابن حجر

اتبعنا منهجًا ارتأينا أنه الأفضل لمتابعة كتابات ابن حجر وحصرها مع الأخذ بنظر الحسبان المنهج النقدي الذي سار عليه المؤلف في كتابه، وقد قسّمناه بحسب طبقات الأعيان الذين ترجمهم.

انتقاده للطبقة الحاكمة (السلاطين والوزراء)

لم يقتصر انتقاد ابن حجر في كتابه هذا على الشخصيات العلمية والدينية فقط، وإنما تعداه إلى انتقاد السلاطين والوزراء وكبار الموظفين في السلطة، ومن الذين ذكرهم وانتقد بعض تصرفاتهم، السلطان المنصور حاجي ابن الأشرف شعبان (790-792هـ)، وصفه بالقول: "كان شديد البأس على جواريه لسوء خلقه من غلبة السوداء ولم يزل مشغولًا باللهو والسكر" (ابن حجر، 1998، ج2، ص511).

وهو في هذه الحالة انتقد تصرف السلطان وسلوكه تجاه جواريه، فضلًا عن انتقاد سلوكه الشخصي بانصرافه لشرب الخمر واللهو، الذي يُعدُّ سلوكًا شائنًا لحرمته أولًا، ولكونه يُخرج الإنسان من طوره الإنساني ليجعله كائنًا طائشًا لا يراعي حرمةً ولا يقف عند حدٍّ معين ثانيًا، وشخص يكون بهذا الوضع لا يمكن أن يكون إنسانًا فضلًا عنه سلطانًا مسؤولًا عن دولة يقودها. لذا نراه ينتقد هذا السلطان لكونه وضع نفسه موضع الانتقاد بانصرافه للهو وشرب الخمر.

ويبدو أن ابن حجر كان ينظر لذلك السلوك على أنه سلوك متأصل في شخصية هذا السلطان منذ ولادته، فقد ذكر أنه مشؤوم منذ ولادته حيث وصفه بالقول: "ولقد كان الناصر هذا أعظم الناس خذلانًا لدين الإسلام وأشأمهم طلعة على المسلمين، والعجب أنه ولد لما أقبل يلبغا الناصري ومنطاش فبُشِّر أبوه فسمَّاه بلغاق - يعني فتنة، فلما خلص أبوه من الكرك سمَّاه فرجًا فكان اسمه الأول هو الحقيقي". (ابن حجر، 1998، ج2، ص511).

كما وجّه انتقادًا حادًا للسلطان الظاهر برقوق (784-801هـ)، فضلًا عن انتقاد الأوضاع الاجتماعية الفاسدة التي وصل إليها المجتمع من تفشي الرشوة والفساد في مسألة تولي المناصب في دولته التي كانت برعاية

السلطان نفسه، فقال عنه: "كان طماعًا جدًّا لا يقدم على جمع المال شيئًا ولقد أفسد أحوال المملكة بأخذ البذل على الولايات حتى وظيفة القضاء والأمور الدينية" (ابن حجر، 1998، ج2، ص66).

وانتقد كذلك بعض الأوضاع الاجتماعية التي كان يفعلها بعض السلاطين في مناسباتهم وأفراحهم، ومبالغتهم في الإسراف في تلك الاحتفالات، ومنها ما فعله السلطان الأشرف شعبان (773-778هـ) حين احتفل بختان أولاده سنة 777هـ، وأنفق أموالًا كثيرة، فقال: "في المحرم طهر السلطان أولاده وعمل لهم مهمًّا عظيمًا أنفق فيه من الأموال ما لا يحصى. وظهرت فيه من الفواحش والقبائح ما لا مزيد عليه، واستمر ذلك سبعة أيام". (ابن حجر، 1998، ج1، ص103).

كما وصف السلطان المملوكي الظاهر ططر بقوله: "وكان ظالمًا غشومًا متطلعًا إلى أموال الناس". (ابن حجر، 1998، ج3، ص248).

ومن الوزراء الذين وجّه إليهم سهام الانتقاد الوزير فخر الدين ابن غراب (ت 811هـ)، قال عنه: "وكان سيئ السيرة جدًّا، وكان يلثغ لثغة قبيحة". (ابن حجر، 1998، ج2، ص401).

ومنهم ماجد بن عبد الرزاق المعروف بابن غراب القبطي (ت 808هـ)، الذي تقلب بالمناصب حتى صار وزيرًا في عهد السلطان الظاهر فرج (801-808هـ)، وقد وصفه بالقول: "ولي الوزارة ونظر الخاص وغير ذلك، كل ذلك بعناية أخيه، ولم يكن فيه من آلات الرياسة شيء، بل كان يلثغ لثغة قبيحة ويسير سيرة جائرة". (ابن حجر، 1998، ج2، ص342).

ومن الملاحظ على انتقاد ابن حجر للسلطة الحاكمة (سلاطين ووزراء) أنه يصف حالة هؤلاء وسيرتهم مع الناس وكيفية تصديهم لأعمالهم، فضلًا عن أوضاعهم الاجتماعية – في بعض الأحيان – مفرقًا بين الصالح منهم والطالح، وبين السيئ والجيد.

انتقاده لكبار الموظفين والأمراء

شمل انتقاده أيضًا كبار الموظفين من الأمراء المماليك، فيما يخص سيرهم بين العامة، وكيفية تسلمهم أعمالهم التي غالبًا ما تكون من طريق الرشاوى ودفع الأموال للسلاطين لقاء تكليفهم بهذه الأعمال، وقد ركّز ابن حجر على هذا الأمر تركيزًا كبيرًا، بصورة مباشرة أو غير مباشرة – في بعض الأحيان – حين نراه يكتفي بوصف هذا المتولي أو ذاك بكونه (عريًّا من العلم) أو أنه لا يفقه شيئًا من الأحكام، وهذا يعدّ – من وجهة النظر التاريخية – بيانًا مهمًّا في توصيف الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية التي كانت سائدة في مصر إبّان حكم المماليك، وهي على درجةٍ كبيرة من الصحة إذا ما علمنا أن ابن حجر عاش في تلك الحقبة فكان شاهد عيان موثوقًا على أحداثها وتفاصيلها.

ومن أبرز الحالات التي ذكرها المؤرخ ليصف الوضع القائم آنذاك فيما يخص كبار الموظفين، ذكر عند تعليقه على وفاة نائب سلطان دمشق بهادر بن عبدالله قلقاس (ت 774هـ) قال: "كان من أكابر الظلمة ففرح الناس بموته". (ابن حجر، 1998، ج1، ص41). وهذا يفسّر حال هذا النائب وكيفية إدارته لعمله التي وصفها ابن حجر بهذا الوصف، فحين يفرح الناس بموت أحدٍ فلابد أن يكون هذا ظالمًا متعسفًا غاشمًا في ممارسة سلطته على عامة الناس وضعفائهم.

كما انتقد بخل ناظر الجيش محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي (ت 778هـ)، فقال عنه: "وكان من العجائب أنه مع فرط كرمه في غاية البخل على الطعام حتى قال لي القاضي كريم الدين بن عبد العزيز (السخاوي، د.ت، ج3، ص94). ناظر الجيش عنه إنه سمعه يقول: إذا رأيت شخصًا يأكل طعامي أظن أنه يضربني بسكين". (ابن حجر، 1998، ج1، ص148). وهذا يدلُّ على ضعف نفسية هذا الشخص وشدّة بخله، إن كان ذلك صحيحًا، فإذا كان تعامله بهذه الصورة مع الطعام، فكيف بتعامله مع محكوميه ؟ ونحن نربأ بأنفسنا عن ترديد هذه التهمة ونذكرها هنا على عهدة من ذكرها من معاصريه.

ومن كبار الموظفين الذين ذكرهم ابن حجر أيضًا بهادر بن عبد الله الرومي المنجكي (ت 790هـ)، الأستادار (وتعني: متولي قبض المال) (القلقشندي، د.ت، ج5، ص429). الذي وصفه بقوله: "وكان ظالمًا جائرًا كثير الحرمة".(ابن حجر، 1998، ج1، ص358).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وكذلك ذكر سولي بن قراجا بن دلغادر التركماني (ت 800هـ)، فوصفه بكونه سفاحًا فاجرًا أغار على مدينة عينتاب فنهب الأموال وجرى على أهلها من الفسق والفجور ما لم يسمع به من قبل. (ابن حجر، 1998، ج2، ص34). كما ذكر عنه أنه كان مداومًا على شرب الخمر. (ابن حجر، 1998، ج2، ص34).

ومن الذين وصفهم أيضًا شمس الدين محمّد بن محمّد البخانسي (ت 806هـ)، المحتسب، قال عنه: "وكان جائرًا في الحكم، قليل العلم، مبالغًا في السطوة بالناس". (ابن حجر، 1998، ج2، ص278).

وقريبًا من هذا الوصف ذكر أيضًا محمّد بن الشاذلي المحتسب (ت 810هـ)، وصفه بقوله: "كان عريًّا من العلم غاية في الجهل، ... ثم ترقّى إلى أن ولي حسبة مصر ثم القاهرة مرارًا بالرشوة". (ابن حجر، 1998، ج1، ص393). ومنهم أقباي الكبير (ت 812هـ)، وكان حاجبًا لمدة طويلة ثم أصبح رأس نوبة الأمراء (وتعني: متولي إدارة الممالك)، (القلقشندي، د.ت، ج4، ص18-19)، كان ظالمًا يجمع المال بالقهر والتعسف من الناس. (ابن حجر، 1998، ج2، ص437).

ولم يقتصر انتقاده على كبار الشخصيات في الدولة، وإنما امتد في بعض الأحيان ليشمل صغار المماليك، والموظفين في ديوان السلاطين، ومن هؤلاء نوروز (ت 817هـ) من مماليك الظاهر برقوق، وقد وصفه بالقول:

"وكان متعاظمًا سفاكا للدماء عبوسًا مهابًا شديد البأس، وكان مشؤم النقيبة، ما كان في عسكر قط إلا انهزم، ولا حفظ له أنه ظفر في وقعة قط". (ابن حجر، 1998، ج3، ص50).

وكذلك وصف يشبك بن أزدمر (ت 817هـ) وهو أحد الأمراء المماليك بقوله: "كان ظالمًا لم يشتهر عنه خير". (ابن حجر، 1998، ج3، ص51).

كما انتقد اسنبغا الزردكاش (ت 818هـ)، زوج ابنة السلطان المملوكي الناصر فرج بن برقوق (808-815هـ) حين كان ينوب عن حموه في السلطنة، بأنه كان شديد الظلم بالرعية، فقال: " كان ظالمًا غاشمًا لم يشتهر عنه إلا الشر". (ابن حجر، 1998، ج3، ص77). كما وصف نائب القاهرة دولات خجا الظاهري (ت 835هـ) بالوصف نفسه نتيجة لمبالغته في تعذيب من يرغب بمعاقبته من الناس. (ابن حجر، 1998، ج3، ص470).

وكذلك الحال حين تكلم عن سيرة والي دمياط ناصر الدين محمد السلاخوري (ت 820هـ)، فوصفه بقوله: "سيئ السيرة غاية في الظلم والفسق كثير التسلط على نساء الناس وأولادهم". (ابن حجر، 1998، ج3، ص144).

ومنهم كذلك لؤلؤ الطواشي المجبوب كاشف الوجه القبلي (ت 821هـ)، وصفه بالقول: "وكان من الحمقى المغفلين والظلمة الفاتكين في صورة الناسكين". (ابن حجر، 1998، ج3، ص185).

ومنهم محمد بن محمد بن حسين، المخزومي البرقي (ت 823هـ)، باشر العديد من الأعمال، وولي التدريس في عدة أماكن، قال عنه واصفًا: "كان مشهورًا بمعرفة الأحكام مع قلة الدين وكثرة التهتك". (ابن حجر، 1998، ج3، ص232).

ومنهم أيضًا محمد بن علي الحبري الشرابي (ت 823هـ)، محتسب مصر، قال عنه واصفًا: "وكان عاميًا جلفًا قليل الخير كثير الشر". (ابن حجر، 1998، ج3، ص232).

ومن هؤلاء كذلك حسين نجم الدين بن عبد الله، السامري الأصل كاتب السر بدمشق (ت 831هـ)، وصفه بالقول: "وكان عريًّا عن العلوم جملة، والعجب أنه كان باسمه التدريس بدار الحديث الأشرفية بدمشق". (ابن حجر، 1998، ج3، ص410).

وكذلك حين تحدث عن محمد بن بدر الدين محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقي (ت 832هـ)، ناظر الجيش، قال عنه يصف أحواله: "وكان فصيحًا مفوهًا عارفًا بالأمور الدنيوية عريًّا عن معرفة الأمور الأخروية، إنما همه الأعظم تحصيل الدرهم". (ابن حجر، 1998، ج3، ص431). ووصف حاله عند وفاته بالقول: "وحرص مرارًا على أن يوصي ببر أو صدقة أو خلاص ذمة فلم يقدر له ذلك ومات بأحماله لم يحط عنه منها شيء،...، وكثر الثناء السيئ عليه بعد موته بسوء معاملته وطمعه". (ابن حجر، 1998، ج3، ص431).

كما وصف سودون دويدار اركماس الظاهري (ت 843هـ)، وهو الدويدار الكبير في عهد السلطان الظاهر جقمق (842-857هـ) بقوله: "كان غشومًا عارفًا بأفانين الظلم". (ابن حجر، 1998، ج4، ص149).

في حين ذكر يشبك السودوني (ت 849هـ) أتابك (وتعني: قائد الجيش) (القلقشندي، د.ت، ج6، ص3) العساكر بمصر، فقال عنه ما نصّه: "عريًّا إلا من رمي النشاب على عيوب في رميه، وينسب إلى طمع وعدم دين". (ابن حجر، 1998، ج4، ص245).

ومن ذلك كله يتضح لنا أن المؤرخ ابن حجر كان حريصًا على نقل كل يتعلق بالسلاطين وكبار الأمراء المماليك في السلطة وانتقاد أحوالهم وتصرفاتهم تجاه الناس عمومًا، معتمدًا في ذلك على مشاهداته وتعامله معهم، أو على ما يدور على ألسنة الناس وآرائهم بهؤلاء الفاسدين.

انتقاده للقضاة

وجّه ابن حجر انتقادًا كبيرًا لبعض القضاة الذين لم يكونوا على قدر المسؤولية، أو الذين شابتهم شوائب الفساد والرشوة، ومن هؤلاء الذين ذكرهم القاضي علم الدين الأسنوي (ت 777هـ)، الذي عمل كثيرًا في دواوين القضاء عند مختلف السلاطين المماليك (المقريزي، 1997، ج3، ص127)، فقال عنه: "إن معاليمه في الشهر كانت خمسمائة دينار، فكان مع ذلك في غاية الجهل حتى قيل فيه: (ابن حجر، 1998، ج1، ص113).

مـعـيـد لـو كـتـبـتَ لـهُ حـرفًـا وقلـتَ أعـد عليَّ تلـك الحروفِ

لـقصَّـــرَ فـي إعـادتـهِ عـلـيـهـا كـيـف يُـعـيـدُ فـي الـعـلـمِ الشـــــــــــــــــريفِ

ومنهم الفقيه والقاضي عمر بن عثمان بن أبي القاسم عبد الله بن معمر، كمال الدين المعري (ت 783هـ)، الذي وصفه بالقول: "ولم يكن مشكورًا في الحكم ولا متورعًا فيه، بل كان يأخذ الرشوة ظاهرًا على ما قيل". (ابن حجر، 1998، ج1، ص249).

وانتقد القاضي أمير غالب بن أمير كاتب بن أمير الفارابي الاتقاني (ت 784هـ)، ووصفه بأنه في غاية الجهل في الحكم، فيما وصف أحكامه التعسفية بقوله: "ويحكى عنه أحكامه أشياء تشبه ما يحكى عن قراقوش". (أنظر: ابن مماتي، د.ت، ص30). وهذا الوصف يبين عدم قناعة ابن حجر بهذا القاضي وأحكامه التي يبدو أنها كانت مجانبة للحق كثيرًا ليصفها بهذا الوصف.

وكذلك وصف القاضي همام الدين ابن الشيخ الاتقاني (ت 784هـ)، بقوله: "وكان الهمام من عجائب الدهر في الجهل والخبط وقلة الدين". (ابن حجر، 1998، ج1، ص155). مما يبدو أنه كان بعيدًا عن الحق ومراعاة أحكام الشريعة الإسلامية في أحكامه.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وفي معرض حديثه عن الفقيه محمد بن أبي كبر بن محمد التدمري الأصل الدمشقي المؤذن بدر الدين قاضي القدس (ت 787هـ)، وبعد أن امتدح علمه بالفقه وبالعربية، انتقده انتقادًا لاذعًا بقوله: "ولكنه كان متساهلًا في الصلاة، فربما تركها، وكان ضنينًا بنفسه معجبًا بها كثير الحطِّ والازدراء لغيره" (ابن حجر، 1998، ج1، ص310). كما قال عنه أنه كان ماهرًا في علم الفقه، إلا أنه كان غير محمود الولاية. (ابن حجر، 1998، ج1، ص310).

وأكد على ذلك الانتقاد بما نقله عن المؤرخ ابن حجي (ت 816هـ) قوله فيه: "حتى أنه في طول المجلس الذي اجتمعت به فيه ما ذكر أحدًا بخير". (ابن حجر، 1998، ج1، ص310).

وذمّ ابن حجر القاضي والمؤذن محمد بن أبي كبر بن محمد التدمري (ت 787هـ) لقلّة دينه وتساهله في صلاته، وقد وصفه بقوله: "كان متساهلًا في الصلاة فربما تركها وكان ضنينًا بنفسه معجبًا بها كثير الحط والازدراء لغيره، حتى أنه في طول المجلس الذي اجتمعت به فيه ما ذكر أحدًا بخير". (ابن حجر، 1998، ج1، ص310). ولا نعلم كيف يولّى في منصب القضاء وهو على هذا التساهل في الدين وقد اشتهر ذلك عنه ؟!

وبسبب تقاضيه الرشوة وقلة علمه، انتقد ابن حجر محمد بن عبد الله القرشي شمس الدين قاضي العسكر (ت 789هـ)، الذي قال عنه: "وكان يرتشي الكثير على قضاء الأشغال ويخدم السلطان بذلك، مات وله نيف وأربعون سنة، وكان عريًّا عن العلم". (ابن حجر، 1998، ج1، ص344).

وذكر كذلك القاضي شهاب الدين أبو العباس ابن أبي الرضا الشافعي الحلبي (ت 791هـ)، قاضي حلب، وعلى الرغم من مدحه إياه بالعلم بقوله: " كان من أعاجيب الزمان في الذكاء ... أوحد العلماء، مشاركًا في علوم كثيرة" (ابن حجر، 1998، ج1، ص382)، إلا أنه نقل عن المؤرخ ابن حجي كلامًا جارحًا عنه متهمًا إياه بقوله: "كان عنده بعض شيء من العلم ولكنه كان يرى نفسه في مقام عظيم، وكان مولعًا بثلب أعراض الكبار، وكان باطنه رديئًا وقلبه خبيثًا". (ابن حجر، 1998، ج1، ص382).

ولم يعلّق المؤرخ ابن حجر على ذلك، ويبدو لنا أن سبب هذا النقل عن هذا العالم كان نتيجةً لمواقفه تجاه سلطنة الظاهر برقوق ونصرته للمنصور حاجي (790-792هـ)، وفتواه بنصرة حاجي على حساب برقوق، وهو ما يؤكده ابن حجي بقوله: "فجازاه الله بالإهانة والذل والإخراج من وطنه بهيئة قطاع الطريق والرمي في البرية بغير غسل ولا كفن ولا صلاة". (ابن حجر، 1998، ج1، ص382). إذ إن ابن أبي الرضا قتل وهو في طريقه للقاهرة بعد أن عاد برقوق للسلطة، فنفاه إلى القاهرة، إلا أنه لم يصل إليها فقد دسّ له السلطان من قتله غيلة قبل أن يصلها. (ابن حجر، 1998، ج1، ص382).

واستغرب ابن حجر من تولية القاضي يوسف بن موسى بن محمد بن أحمد بن أبي تكين بن عبد الله الملطي (ت 803هـ)، بالنظر لما كان مشتهرًا به من أحكام تنافي الشريعة الإسلامية، وهو ما ذكره بقوله: "فباشر

مباشرة عجيبة فإنه قرَّب الفسَّاق واستكثر من استبدال الأوقاف وقتل مسلمًا بنصراني ...، واشتهر أنه كان يفتي بأكل الحشيش وبوجوه من الحيل في أكل الربا، وأنه كان يقول: من نظر في كتاب البخاري تزندق". (ابن حجر، 1998، ج2، ص196). وقد تكون بعض هذه التهم ملفقة، لكن كثرتها قد يشير إلى صحّة بعضها، والله أعلم.

كما كان له موقف من القاضي والخطيب محمّد بن أحمد بن محمود النابلسي (ت 805هـ)، الذي حمّله مسؤولية إفساد أوقاف دمشق وباعها دون وجه حق، فضلًا عن سيرته غير المرضية بين الناس، وفي ذلك قال: "ولم يكن مرضيًا في الشهادة ولا في القضاء، وهو أول من أفسد أوقاف دمشق وباع أكثرها بالطرق الواهية". (ابن حجر، 1998، ج2، ص250). وزاد المؤرخ ابن حجي تأكيدًا على ذلك قائلًا: "وباع كثيرًا من الأوقاف بدمشق، قيل إنه ما أبيع في الإسلام من الأوقاف ما أبيع في أيامه، وقيل ما وقع منها شيء صحيح في الباطن، يظهر لكل أحد ذلك، وبالجملة فهو من قضاة السوء". (ابن حجي، 2003، ج2، ص555).

كما انتقد قبح سيرة القاضي أبي العباس الحمصي (ت 807هـ)، وذمّه بسبب أخذه الرشوة، فقال في وصفه: "وكان قبيح السيرة متجاهرًا بأخذ الرشوة". (ابن حجر، 1998، ج2، ص298).

وممن ذكرهم أيضًا القاضي محمد بن عباس بن محمد بن حسين الصلتي (ت 807هـ)، الذي وصفه بقوله: "وكان مفرطًا في سوء السيرة قليل العلم" . كما ذكر أنه كان مرتشيًا فضلًا عن كونه جاهلًا . وقد ذكر السخاوي أنه كان يتولى أعماله بدفع الرشوة. (السخاوي، د.ت، ج7، ص277).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ومن الذين ذكرهم أيضًا القاضي عبد الرحمن بن يوسف بن الكفري الحنفي (ت 809هـ)، الذي وصفه بقلة العلم قائلًا: "ولم يكن محمود السيرة وكان يتجر بالكتب ويعرف أسماءها مع وفور جهل بالفقه وغيره". (ابن حجر، 1998، ج2، ص269). كما وصف القاضي محمّد بن محمّد بن جعفر الدمشقي (ت 809هـ)، بذات الوصف وبأنه: "لم يكن يعرف شيئًا من العلم". (ابن حجر، 1998، ج2، ص374).

فيما انتقد القاضي أحمد بن إسماعيل بن خليفة الحسباني (ت 815هـ)، لتقربه لرجال الدولة وشدّة طلبه للوظائف فضلًا عن جرأته في الأحكام. (ابن حجر، 1998، ج2، ص523). أما ما سجّله عن القاضي محمد بن محمد بن عثمان الدمشقي (ت 816هـ)، فقد كان اتهامه إياه بالقول: "وكان قليل الفقه فربما افتضح في بعض المجالس ولكنه يستر ذلك بالبذل والإحسان". (ابن حجر، 1998، ج3، ص32). وقريب من ذلك وصفه للقاضي قاسم بن سعد بن محمد، الحسباني شرف الدين المعروف بالسماقي (ت 827هـ)، الذي وصفه بكثرة الجرأة والتساهل في الأحكام مع قلة العلم. (ابن حجر، 1998، ج3، ص338).

فيما كانت الرشوة السبب الرئيس لانتقاده القاضي أحمد بن عبد الله بن محمد بن محمد، الأموي (ت 836هـ)، مع ما وصفه به من سوء السيرة والجهل الكبير. (ابن حجر، 1998، ج3، ص503).

وانتقد كذلك القاضي والحافظ شمس الدين بن الجزري (ت 833هـ)، فذكر أنه غير موثوق في القراءات (ابن حجر، 1998، ج3، ص466)، وأن بعض العلماء يشاركونه هذا الرأي، كما أنه اتهمه بنسبة آراء بعض العلماء المعاصرين له ، فيما أكد على براعته في علم الحديث وروايته، فقال: "وقد سمعت بعض العلماء يتهمه بالمجازفة في القول، وأما الحديث فما أظن ذلك به، إلا إنه كان إذا رأى للعصريين - المعاصرين له - شيئًا أغار عليه ونسبه لنفسه". (ابن حجر، 1997، ج3، ص466، الغزي، 2000، ص97). ولم يكتف بذلك، وإنما انتقد سيرته في القضاء أيضًا، فقال في ذلك: "ولم يكن محمود السيرة في القضاء". (ابن حجر، 1998، ج3، ص468).

ويبدو لنا أنه عدم اتهامه في نقل الحديث وروايته، كون ابن حجر نفسه كان قد أخذ عنه الحديث الشريف، وأجازه إجازة مكتوبة، وقدّم لبعض كتبه أيضًا كما ذكر السخاوي (ت 902هـ)، ونقل تلك الإجازات أيضًا في كتابه الضوء اللامع (السخاوي، د.ت، ج9، ص259)، وكذلك في كتابه الجواهر والدرر. (السخاوي، 1999، ج1، ص292).

وباللفظ نفسه وصف ابن حجر القاضي عبد الله بن محمد جمال الدين ابن الدماميني (845هـ) قاضي الاسكندرية، بقوله: "قليل البضاعة في العلم". (ابن حجر، 1998، ج4، ص190).

ويبدو أن ابن حجر قد اعتمد في تجريحه ونقده اللاذع لمعاصريه من القضاة، على مكانته العلمية البارزة، وسمعنه الرفيعة بين العام والخاص، لذلك كان يقدم على ذلك دون تردد.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

انتقاده للأطباء

انتقد ابن حجر أيضًا الأطباء والمشتغلين بصنعته، ومنهم الطبيب الشيخ سراج الدين عمر بن منصور البهادري (ت 809هـ)، الذي قال أنه: "لم يكن محمود العلاج". (ابن حجر، 1998، ج3، ص463).

وعلى الرغم من امتداحه للطبيب محمد بن عبد الله الصفدي (ت 815هـ)، إلا أنه ذكر أنه: "لم يكن ماهرًا بالمعالجة، بل إذا شخص له غيره المرض نقل أقوال أهل الفن فيه". (ابن حجر، 1998، ج2، ص533).

ووجه انتقاده كذلك إلى الطبيب إسماعيل الرومي المتصوف (ت 834هـ) الذي كان مقيمًا بالخانقاه البيبرسية، وإنه: "لم يكن محمود السيرة ولا العلاج". (ابن حجر، 1998، ج3، ص463).

ويبدو لنا أن سبب انتقاده لسيرته هو لكونه يميل إلى الاعتقاد بآراء ابن العربي، إذ قال عنه: "كان يقرئ العربية والتصوف والحكمة، وامتحن بمقالة ابن العربي ونهى مرارًا عن إقرائها". (ابن حجر، 1998، ج3، ص463).

انتقاده للفقهاء والمحدثين

كان للفقهاء والمحدثين نصيبهم من الانتقاد أيضًا، ومن الذين ذكرهم ابن حجر الفقيه عبدالله بن ياقوت بن عبد الله الشافعي، جمال الدين بن العنبري (ت 776هـ) بقوله: "لم يكن محمود السيرة". (ابن حجر، 1998، ج1، ص86).

وكذلك ذكر القول نفسه مع الفقيه والمحدث عمر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، الكناني الحموي (ت 776هـ). (ابن حجر، 1998، ج1، ص88).

ووصف الفقيه محمد بن علي بن عيسى بن أبي القاسم بن منصور الحلبي (ت 787هـ) بأنه: "كان قليل الحظ في العلم". (ابن حجر، 1998، ج1، ص145).

كما تناول بالنقد العالم عيسى المغربي (ت 804هـ)، وكان انتقاده منصبًّا على مؤلفاته، وبأنه كان يسرق مادتها من غيرها، فقد قال حول ذلك ما نصّه: "وكانت كتابته أكثر من استحضاره فلهذا كثر القول فيه من علماء الشام ومصر حتى قرأت بخط ابن حجي (ابن حجر، 1998، ج1، ص522).

كان ينسب إلى سرقة التصانيف فإنه ما كان يستحضر شيئًا، ولا يحقق علمًا، ويؤلف المؤلفات الكثيرة على معنى النسخ من كتب الناس". (ابن حجر، 1998، ج2، ص218).

كما أكد ذلك على لسان غيره من العلماء الذين نقل أقوال بالقول: "لم يكن بالماهر في الفتوى ولا التدريس وإنما كان يقرأ عليه مصنفاته غالبًا فيقرر على ما فيها". (ابن حجر، 1998، ج2، ص218).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ومنهم أيضًا الفقيه عبد الرحمن بن يوسف الكردي الدمشقي (ت 819هـ)، الذي قال عنه: "وكان يعاب بأنه قليل البضاعة في الفقه". (ابن حجر، 1998، ج3، ص109).

وقريب من ذلك قوله عن برهان الدين إبراهيم بن محمد الشافعي (ت 825هـ)، بأنه لم يكن على شيء من العلم. (ابن حجر، 1998، ج3، ص284).

ومن العلماء الذين انتقدهم ابن حجر العالم المحدّث عمر بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعد، السعدي الحسباني (ت 830هـ)، وذلك لتغير سلوكه وأخلاقه بعد أن صار قاضي قضاة الشام، على الرغم من أنه كان ممدوحًا من قبل الجميع، فقال في وصفه: "وكان ذكيًّا فصيحًا حسن الملتقى والمباسطة يلقي الدروس بتأنٍّ وتؤدة مع ذلك، كثير الإحسان للطلبة والواردين عليه بدمشق، إلا أنه انعكس في ذلك في ولايته كتابة السر وصار على ضدِّ ما كان يُعهد منه، وكان كثير التلوُّن سريع الاستحالة". (ابن حجر، 1998، ج3، ص392468).

ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن حجر كان قد اعتمد على هذا المؤرخ في هذا الكتاب وقد نقل عنه كثيرًا من الأحداث التاريخية، واستشهد بما ذكره في كتابه المعروف بـ(تاريخ ابن حجي)، وقد صرّح ابن حجر في مقدمة كتابه (أنباء الغمر) بأنه اعتمد على كتاب ابن حجي ونقل عنه. (ابن حجر، 1998، ج1، ص4).

فيما وصف الفقيه محمد بن أحمد بن موسى بن عبد الله الكفيري (ت 831هـ)، بأنه لا يعرف من العلوم غير الفقه، وكان ينظم الشعر إلا أنه لا يعرف العروض، فضلًا عن كونه كثير التلوُّن". (ابن حجر، 1998، ج3، ص413).

أما الفقيه ابو بكر بن عمر بن عرفات بن عوض بن أبي السعادات (ت 833هـ)، فقد ذكر عنه ادعاءه بأن نسبه الذي يعود إلى الصحابي زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي، إلا أن ابن حجر ردَّ على ذلك الادعاء بقوله: "ولا شك أنه مركّب ومفترى، وكذا لا يشك من له أدنى معرفة بالأخبار أنه كذب، وليس لزيد بن ثابت ولد يسمى مالكًا، وتلقيبه عبد الرحمن بن سالم ضياء الدين من أسمج الكذب، فإن ذلك العصر لم يكن التلقيب فيه - بالإضافة للدين". (ابن حجر، 1998، ج3، ص444).

إن أسلوب ابن حجر في تبيان الحقيقة لم تقف عند حدود النقل المجرد، وإنما استند إلى الحقائق التاريخية المتعلقة بمراجعة بعض المصادر ذات الصلة بحدث معين، كما في حادثة ردّ دعوى الانتساب هذه لأحد العلماء.

وانتقد الفقيه محمد تقي الدين بن الشيخ نور الدين علي (ت 834هـ)، الذي اشتهر عنه ثلب أعراض الأكابر من الأمراء، فضلًا عن كونه غير "متصونًا في نفسه ولا في دينه". (ابن حجر، 1998، ج3، ص465-466).

ومن المحدثين والمؤرخين الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الفرياني المغربي (ت 848هـ)، وقد وجّه له انتقادًا كبيرًا أشكل فيه على معرفته بالتاريخ والسير فضلًا عن الحديث الشريف، فقال: "وكان يستحضر من التاريخ والاخبار الماضية شيئًا كثيرًا ولكنه كان يخلط في غالبها ويدعي معرفة الحديث النبوي ورجال الحديث". (ابن حجر، 1998، ج4، ص228).

وذكر كذلك أنه رأى له مؤلفين من مؤلفات الشيخ الفرياني كان قد سُئل عنهما في مدينة حلب كان قد أملاهما على بعض الطلبة هناك وهما عبارة عن كتابين في الحديث النبوي الشريف، فقال عنهما ابن حجر: "... وسئلت عنهما فبينت لهم فسادهما، كتبها عنه بأسانيده في الكتب الستة أكثرها مختلق وجلها مركب، وأوقفني الشيخ تقي الدين المقريزي له على تراجم كتبها له بخطه كلها مختلفة إلا الشيء اليسير". (ابن حجر، 1998، ج3، ص468517).

نقده للأحداث العامة

انتقد ابن حجر بعض الحوادث التي حدثت وتتعلق بأحوالٍ عامة، منها ما ذكره في أحداث سنة 773هـ حيث قام سلطان هراة بالخروج لحرب تيمورلنك (ت 808هـ) (المقريزي، 1997، ج6، ص168). في سمرقند، ذكر ابن حجر ما نصّه: "فكانت الكسرة أولًا على اللنك ثم عادت على طقتمش خان (ابن العماد، 1984، ج8،

ص603). فانتصر اللنك، ويقال إنه كان في عسكره عابد يقال له بركة، فلما رأى اللنك الهزيمة تمسك به فصاح على عسكر طقتمش خان فانهزموا". (ابن حجر، 1998، ج1، ص13). وقد علّق عليها بالقول: "ويحتمل أن يكون هذا من وضع بعض من يتعصب للنك، ويحتمل الصحة ليقضي الأمر المقدور {إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا} [آل عمران : 178]". (ابن حجر، 1998، ج1، ص19).

ونرى أنه لم يقطع بصحة هذه الرواية أو كذبها، بل نراه قد احتمل الوجهين معللًا كلًّا منهما بشكل مختلف تبعًا لما رآه أنه صحيح وقابل للحدوث. فمرة ذكر أنها من وضع المؤيدين لتيمورلنك، وهذا الرأي نابع من فكر المؤرخ الذي يحاول الوصول إلى الحقيقة من خلال إخضاع الرواية إلى النظر والتشكيك لإثبات صحتها، ومرة أخرى علّلها بتفسير ديني بحت نابع من اعتقاده الراسخ بأن بعض الأحداث تجري وفق فكر ديني ثابت.

وفي أحداث سنة 796هـ، ذكر أن رجلًا جاء إلى السلطان برقوق وأخبره: "أنه رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) تسليمًا في المنام وأنه قال له: اذهب إلى برقوق وقل له: إنك منصور بأمارة أنك تقرأ سورة الفاتحة على أصابعك العشرة عشر مرات عند الركوب ثم تقول: "إن ينصركم الله فلا غالب لكم" فصدق الأمارة وبكى وأمر للرأي بمال فلم يقبل منه إلا نزرًا يسيرًا". (ابن حجر، 1998، ج1، ص470).

فقال ابن حجر عنها: "والذي يظهر لي كذب هذا الرأي، وكأنه بلغ الأمارة من بعض خواص السلطان المطلعين على سره، وإلا فلو كان صدقًا لكان قد انتصر، والواقع أنه لم يقع له قتال مع أحد". (ابن حجر، 1998، ج1، ص470).

وفي حادثةٍ وقعت سنة 801هـ ذكر أن السلطان المملوكي برقوق أمر ابن خلدون (ت 808هـ)، أن يفصل في منازعة وقعت بين أوصياء محمود بن عبد الله الكلستاني السيرامي الحنفي (ت 801هـ) كاتب السر وبين حاشية السلطان حول الأموال التي تركها السيرامي بعد وفاته، فحكم فيها ابن خلدون بتعزير قاضي القضاة زين الدين التفهني (ت 835هـ) - لأنه كان أحد الذين أوصى لهم الكلستاني -، وإبطال الوصية "بطريق باطل لظنِّه أن ذلك يرضي السلطان، فلما بلغ السلطان ذلك أنكره وأمر بإبقاء الوصية على حالها". (ابن حجر، 1998، ج2، ص88).

نقده للشعراء والأدباء والنحويين

لم يقتصر انتقاده على العلماء، وإنما تعداه إلى الأدباء والشعراء كذلك، وممن طالتهم سيوف نقده الشاعر أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني المعروف بابن أبي حجلة (ت 776هـ)، الذي انتقد شعره بقوله: "لا يحسن العروض، وعارض المقامات فأنكروا عليه. قال: وكان كثير العشرة للظلمة ومدمني الخمر". (ابن حجر، 1998، ج1، ص81).

ومنهم أيضًا محمّد بن محمّد بن أبي بكر بن عبد العزيز المقدسي (ت 786هـ)، الذي اتهمه بانتحال شعره من ديوان وجده لم يشتهر به أحد، فكان يأخذ منه، فقال عنه: "وكان يتعانى نظم الشعر فيأتي منه بما يضحك، إلا أنه كان ربما وقع له ديوان غير شهير فيأخذ منه ما يمدح به الأعيان خصوصًا القضاة إذا وُلُّوا ويستعين بمن يغير له بعض الأسماء، وربما عثر على القصيدة في ديوان صاحبها". (ابن حجر، 1998، ج2، ص286).

ومنهم العالم اللغوي محمّد بن الحسن الأسيوطي (ت 808هـ)، قال عنه: "وكان يعلم بالأجرة وله في ذلك وقائع عجيبة تنبئ عن دناءة شديدة وشُحٍّ مفرط". (ابن حجر، 1998، ج2، ص345). وكذلك وصف المؤرخ إبراهيم بن محمّد بن دقماق صارم الدين مؤرخ الديار المصرية (ت 809هـ)، بقوله: "وكان مع اشتغاله بالأدب عريًّا عن العربية عامي العبارة". (ابن حجر، 1998، ج2، ص360). أما الشاعر جمال الدين المكي الحلوي (ت 815هـ) فقد ذكر أنه كان يغالي في جودة شعره ويضاهي به الشعراء الكبار كأبي تمام والمتنبي. (ابن حجر، 1998، ج2، ص532).

كما انقد النحوي الكبير محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، الشيرازي الفيروزآبادي (ت 817هـ)، بأنه يزعم أنه من نسل الخليفة أبي بكر وأن ذلك غير صحيح - بحسب قول ابن حجر- وأنه يدعي ذلك النسب. (ابن حجر، 1998، ج3، ص47). كما انتقد بعض مؤلفاته لاسيما شرحه على البخاري، الذي قال عنه: "وشرع في شرح مطوَّل على البخاري ملأه بغرائب المنقولات، وذكر لي أنه بلغ عشرين سفرًا، ... صار الشيخ مجد الدين يدخل في شرح البخاري من كلام ابن العربي في الفتوحات ما كان سببا لشين الكتاب المذكور". (ابن حجر، 1998، ج3، ص48).

وانتقد الشاعر سراج الدين عمر بن عبد الله بن عامر الأسواني (ت 826هـ)، وشعره أيضًا، ودعواه أنه أشعر الناس في زمانه وما قبل زمانه، وأنه أشعر من المتنبي، فقال ابن حجر عنه: "كان عريض الدعوى كثير الازدراء لمن ينظم الشعر من أهل عصره، لا يعد أحدًا منهم شيئًا ويقول: شعرهم بعر مقزدر، هو يقول: من يجعل لي خطرًا على أي قصيدة شاء من شعر المتنبي حتى أنظم أجود منه". (ابن حجر، 1998، ج3، ص318). كما ذكر القاضي والأديب أحمد بن أبي بكر بن محمد بن الرداد المكي (ت 821هـ)، لميله للمتصوفة ومن يعتقد بابن العربي (ت 638هـ)، فقال في وصفه: "غلب عليه الميل إلى تصوف الفلاسفة، فكان داعية إلى هذه البدعة يعادي عليها، ويقرب من يعتقد ذلك المعتقد، ومن عرف أنه حصل نسخة الفصوص قرَّبه وأفضل عليه". (ابن حجر، 1998، ج3، ص178). ولم يكتف بذلك بل حمّله فساد عقائد أهل زبيد من خلال تبنّيه لتلك العقائد الفاسدة – على حدِّ قوله -، فضلًا عن انتقاد شعره كونه ينظم ذلك الشعر على وفق تبنيه لتلك العقائد، فقال: "وأكثر من النظم والتصنيف في ذلك الضلال المبين إلى أن أفسد عقائد أكثر أهل زبيد إلا من شاء الله، ونظمه وشعره ينعق بالاتحاد". (ابن حجر، 1998، ج3، ص178).

ويبدو لنا أن سبب انتقاده بهذه القسوة يعود إلى العقيدة التي تبناها ابن رداد المكي التي يعتبرها ابن حجر عقيدة فاسدة.

ومن الذين ذكرهم كذلك شعبان بن محمد بن داود، المصري (ت 828هـ)، الذي كان يكتب الشعر، وقد وجّه له نقدًا لاذعًا لاسيما فيما يخص شعره فقال: "وكان فيه تناقض فإنه يتماجن إلى أن يصير أضحوكة، ويتعاظم إلى أن يظن أنه في غاية التصوُّن، وكان شديد الإعجاب بنظمه، لا يظن أن أحدًا يقدر على نظيره، مع أنه ليس بالفائق بل ولا جميعه من المتوسط بل أكثره سفساف كثير الحشو عُري عن المعنى البديع". (ابن حجر، 1998، ج3، ص355).

أما أحمد بن محمد بن رمضان المكي، الشاعر المعروف بالحجازي (ت 840هـ)، فقد شكّك بشعره، وأنه قد ظفر بهذا الشعر من ديوانٍ مجهول يأخذ منه قصائده، لا سيما وأنه يتكسب بذلك الشعر بمدح الأعيان، فقال في ذلك: "وتكسب بمدح الأعيان، فكان ينشد قصائد جيدة منسجمة غالبها في المديح، فما أدري بمدح الأعيان أكان ينظم حقيقة أو كان ظفر بديوان شاعر من الحجازيين فكان يتصرف فيه". (ابن حجر، 1998، ج4، ص55).

وسبب تردده هذا يعود إلى ما ذكره بالقول: "وإنما ترددت فيه لوقوعي في بعض القصائد على إصلاح في بعض الأبيات عند المخلص أو اسم الممدوح فيكون فيه زحاف أو كسر". (ابن حجر، 1998، ج4، ص56).

يتبين لنا من ذلك كله أن ابن حجر قد انتهج أسلوبًا ناقدًا في معظم الأحداث التي ذكرها لاسيما فيما يخص الأعيان والعلماء الذين يترجم لهم في نهاية كل سنة يؤرخ لها، وهي تعد من النقولات المهمة في كتب التاريخ، إذا ما عرفنا أن المؤرخ ابن حجر العسقلاني كان شاهد عيان على أغلب تلك النقولات والأحداث التاريخية، لذا فهي شواهد مهمة، من الممكن أن نطمئن لها كونها تأتي من مؤرخ شاهدٍ على تلك الأحداث، فضلًا عن كونه لم يراع الطبقة السياسية الحاكمة، بل انتقدها أسوة بغيرهم من الناس الذين ذكرهم ووجه انتقاده إليهم.

الخاتمة

1- يُعدّ المؤرخ ابن حجر العسقلاني المصريين من أهم المؤرخين الذين عاشوا خلال نهاية القرن الثامن حتى منتصف القرن التاسع الهجري، فواكب حقبة غنية بالأحداث التاريخية المهمة في مصر وبلاد الشام، لاسيما خلال فترة الهجوم المغولي الثاني على البلاد الإسلامية تحت قيادة تيمورلنك، فضلًا عن الفترة التي عاشتها مصر وبلاد الشام تحت الحكم المملوكي، وما تخلله من أحداث سياسية وعسكرية كبيرة.

2- تأتي أهمية هذا المؤرخ بكونه كان شاهدًا للعديد من الأحداث التاريخية المهمة التي عصفت بتاريخ مصر وبلاد الشام خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، فكانت مشاهداته لأغلب الأحداث التي سجلها، لذا فمن هنا تأتي أهمية كتاباته.

3- يُعدّ كتاب (أنباء الغمر في أنباء العمر) من أهم مصادر التراجم لاسيما في الفترة التي دوّن بها ابن حجر لهذا الكتاب وهي (773-850هـ) التي دوّن بها أهم الأحداث التاريخية التي وتأتي أهميته من كون مؤلفه كان شاهد عيان على أغلب الأحداث التاريخية الواردة فيه، فضلًا عمّا أورده من تراجم العلماء والأعلام الذين ترجم لهم.

4- اتّبع ابن حجر منهجًا نقديًا في غالب ترجماته للعلماء والأعلام، موضحًا أهم ما امتاز به هؤلاء من صفات جيدة أو سيئة، فيما كان قليل النقد في الأحداث التاريخية التي أوردها.

5- يعدّ المؤلف ابن حجر من أبرز المؤرخين الذين كان المنهج النقدي واضحًا في غالب كتاباته التاريخية، ويعدّ كتابه هذا من أبرز مؤلفاته التي يرز فيها هذا المنهج النقدي.

6- اعتمد ابن حجر على مكانته العلمية والاجتماعية في نقده لشخصيات عصره من الطبقة الحاكمة والقضاة والعلماء وغيرهم، من دون أن يخشى منهم ردّة فعل ضده.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت 874هـ)

1- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت.

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت 852هـ)

2- أنباء الغمر في أنباء العمر، تحقيق: د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1998.

- ابن أياس، محمد بن أحمد بن أياس الحنفي (ت 908هـ)،

3- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر .

- ابن حجي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي السعدي الحسباني (ت 816هـ)

4- تاريخ ابن حجي، ضبط النص وعلّق عليه: أبو يحيى عبدالله الكندري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2003.

- رضي الدين الغزي، أبو البركات محمد بن أحمد (ت 864هـ)

5- بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين، تحقيق: أبو يحيى عبدالله الكندري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000.

- الزركلي، خير الدين.

6- الأعلام. ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (902هـ)

7- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، 1999.

8- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ)

9- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط1، دار إحياء التراث العربي – عيسى البابي وشركاه، مصر، 1967 .

- ضاحي، فاضل جابر، وكاظم، فوزي خيري (2023): التفسير الديني في كتاب انباء الغمر لابن حجر العسقلاني. (لارك)، 15(3)، 44-65 .DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol2.Iss50.3174

- عبد الستار الشيخ،

10- ابن حجر العسقلاني أمير المؤمنين في الحديث، ط1، دار القلم، دمشق 1992 .

- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري (ت 1089هـ)

11- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1986.

- ابن فهد المكي، أبو الفضل تقي الدين محمد بن محمد بن محمد الهاشمي (ت 871هـ)

12- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، وضع حواشيه: زكريا عميرات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

- القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري (ت 821هـ)

13- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- كحالة، عمر،

14- معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت .

- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت 845هـ)

15- السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

- ابن مماتي، أبو المكارم الأسعد بن المهذب بن مينا (ت 606هـ)

16- الفاشوش في حكم قراقوش، د.ت، د.م.

Sources and references

• The Holy Quran

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

• Ibn Taghri Bardi, Abu al-Mahasin Yusuf bin Taghri Bardi (d. 874 AH)

1- Al-Manhal Al-Safi and Al-Mustafi after Al-Wafi, edited by: Saeed Abdel Fattah Ashour, Egyptian General Book Authority, Cairo, Dr. T.

• Ibn Hajar Al-Asqalani, Ahmed bin Ali bin Muhammad Al-Asqalani (d. 852 AH)

2- News of Immersion in News of Life, investigated by: Dr. Hassan Habashi, Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, 1998.

• Ibn Ayas, Muhammad bin Ahmed bin Ayas al-Hanafi (d. 908 AH),

3- Bada'i' al-Zuhur fi Waqi'a al-Awhar, 2nd edition, Egyptian General Book Authority, Cairo - Egypt.

• Ibn Hajji, Shihab al-Din Abu al-Abbas Ahmad bin Hajji al-Saadi al-Hasbani (d. 816 AH)

4- The History of Ibn Hajji, setting the text and commenting on it: Abu Yahya Abdullah Al-Kandari, Dar Ibn Hazm for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 2003.

• Radi al-Din al-Ghazi, Abu al-Barakat Muhammad ibn Ahmad (d. 864 AH)

5- The joy of those who look at the biographies of the late, accomplished Shafi'is, edited by: Abu Yahya Abdullah Al-Kandari, Dar Ibn Hazm for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 2000.

• Al-Zirkli, Khair al-Din.

6- Flags. 5th edition, Dar Al-Ilm Lil-Millain, Beirut, 1980.

• Al-Sakhawi, Shams al-Din Muhammad bin Abdul Rahman (902 AH)

7- Al-Jawahir and Pearls in the Translation of Sheikh Al-Islam Ibn Hajar, edited by: Ibrahim Bagis Abdel Majeed, Dar Ibn Hazm, Beirut, 1999.

8- The Brilliant Light of the People of the Ninth Century, Al-Hayat Library Publishing House, Beirut, D.T.

• Al-Suyuti, Jalaluddin Abdul Rahman bin Abi Bakr (911 AH)

9- Hassan Al-Mudathah on the History of Egypt and Cairo, 1st edition, Arab Heritage Revival House - Issa Al-Babi and Partners, Egypt, 1967.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

• Dahi, Fadel Jaber, Kazem, Fawzi Khairy. (2023). The religious interpretation of history in the book Anbaa Al-Ghamr fi Anbaa Al-Omar by Ibn Hajar Al-Asqalani. (Lark).15(3),44-65. DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol2.Iss50.3174

• Abdul Sattar Sheikh,

10- Ibn Hajar Al-Asqalani, Commander of the Faithful in Hadith, 1st edition, Dar Al-Qalam, Damascus 1992.

• Ibn al-Imad al-Hanbali, Abd al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad al-Akri (d. 1089 AH)

11- Gold Nuggets in News of Gold, edited by: Mahmoud Al-Arnaout, 1st edition, Dar Ibn Kathir, Damascus - Beirut, 1986.

• Ibn Fahd Al-Makki, Abu Al-Fadl Taqi Al-Din Muhammad bin Muhammad bin Muhammad Al-Hashimi (d. 871 AH)

12- Lahzat al-Ahazat Bi Talaqat al-Huffaz, annotated by: Zakaria Amirat, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1998.

• Al-Qalqashandi, Ahmed bin Ali Al-Fazari (d. 821 AH)

13- Subh Al-A'sha in the Construction Industry, edited by: Muhammad Hussein Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, D.T.

• As a case, age,

14- Dictionary of Authors, Arab Heritage Revival House, Beirut, d.d.

• Al-Maqrizi, Ahmed bin Ali bin Abdul Qadir (d. 845 AH)

15- Behavior in the Knowledge of the Countries of Kings, edited by: Muhammad Abdel Qader Atta, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1997.

• Ibn Mamati, Abu Al-Makarim Al-Asaad bin Al-Muhadhdhab bin Mina (d. 606 AH)

16- Al-Fashous fi Hikam Qaraqosh, D.T., D.M.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية